- 7 -

الصراع على الله في أمريكا

«فليبارك الله أمريكا!». الألفة والسهولة اللتان يستحضر بهما «الله» في الحياة العامة في الولايات المتحدة ربما يشيران ابتداء إلى المراقب الخارجي بأن كل فرد من الأمة يوافق بكل ثقة على طبيعة هذا الإله. لكن هنا بالضبط تبدأ المشكلة. فالله يمثل للأمريكيين عدة وجوه وجوانب. بعض الملامح تذكرني بـ«مارس» إله الحرب في روما القديمة. وحين أنظر إلى تمثال الحرية، أتذكر فينوس ربة الجمال والحب القديمة. أو مردوخ، الإله البابلي الذي «خلق» العالم من العماء والشواش بواسطة العنف الإنقاذي، كما اقترح والتر وينك. فقد ذكر في كتابه «إشراك القوى» أن «أسطورة العنف الإنقاذي تدعم بركائزها الثقافة الشعبية الأمريكية، والدين المدني، والمشاعر الوطنية، والسياسة الخارجية، وأنها تتربص كالأفعى في جذر نظام الهيمنة الذي ميز الوجود البشري منذ ما قبل حكم بابل للعالم القديم»[1].

لكن لا تكفي الإشارة إلى الشخصيات الأسطورية للديانات القديمة. فحين يتحدث الرئيسان كلينتون وبوش عن الله فهما يشيران إلى إله

الكتاب المقدس. لكن ذلك لا يجعل مسألة طبيعة الله في نظر الأمريكيين أكثر سهولة في التمييز للمراقب الخارجي. فـ«الله» الذي شن جورج بوش باسم سلطته وإرادته الحرب على العراق لا يبدو أنه «الله» ذاته الذي يعارض باسمه العديد من المسيحيين هذه المغامرة. الكنيسة المنهجية (الميثودية) المتحدة، التي ينتمي إليها الرئيس بوش ونائبه ديك تشيني، عارضت صراحة الحرب. في كانون الثاني/ يناير 2006، وقع تسعة وتسعون أسقفا وخمسة آلاف عضو بيانا يأسف «للغزو الظالم واللاأخلاقي واحتلال العراق». مخاوفهم عززتها أيضا مخاوف الأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة[2]. أبلغني أحد الأصدقاء في حديث خاص بيننا، أن ثلاثة أرباع رعاة الكنائس (المرسمين) في الولايات المتحدة يعارضون مسيحية بوش، في حين يتفق معها ثلاثة أرباع أعضاء الأبرشيات، وذلك وفقا لتقديراته. ومع أن هذا التقدير غير الرسمي لا يتوافق مع نتائج الاستطلاعات العامة، التي تظهر انقساما متعادلا في الأمة، إلا أنه يشير إلى تباعد الشقة بين زعماء الكنائس الذين يعارضون الحرب معارضة قوية، وبين أعضاء الأبرشيات الذين يوافقون بحماسة فاترة أو حارة على الحرب. يجب أن نضيف أن المعمدانيين في الجنوب، الذين يمثلون أكبر الكنائس البروتستانتية في الولايات المتحدة، عبروا عن دعمهم لـ«شجاعة وقيادة بوش في معارضته الجريئة للإرهاب»[3]. هل نفترض إذن أن هناك نوعين من «الله» ونوعين من المسيحية في الولايات المتحدة؟

حول استخدام وإساءة استخدام الكتاب المقدس

نحن نبعد عن زمن كتابة العهد الجديد بألفي سنة تقريبا؛ والعديد من القرون الإضافية تفصلنا عن نزول التوراة التي يدعوها المسيحيون

العهد القديم. ولا ريب في أن قراءتنا لهذه النصوص تتأثر، شئنا أم أبينا الاعتراف، بهذه المسافة الزمنية الشاسعة. وليس المهم هذه المسافة التاريخية فقط؛ فهناك العديد من طبقات التفسير التي تتدخل بيننا وبين النص القديم للكتاب المقدس. هذه الطبقات التفسيرية أثرت فينا بطرائق كثيرا ما نجد صعوبة في فهمها وصعوبة أكبر في الاعتراف بها، حتى حين نميزها وندركها. وأولئك الذين يتحملون عناء دراسة العبرية واليونانية واللاتينية سوف يدركون بسرعة أن ترجمات النصوص الأصلية نفسها تتضمن تفسيرات وتؤدي من ثم إلى تغييرات في المعنى. فكيف نعرف مثلا أن لفظة «سلام» التي نعرفها حاليا تتصل بما كان شعب إسرائيل القديم يعنيه بلفظة «شالوم»؟ الشيء ذاته ينطبق على المفاهيم المفتاحية الأخرى، مثل العدالة والميثاق والحب والشرف. القول الفرنسي المأثور «الترجمة خيانة» صحيح على نحو خاص حين يتعلق الأمر بكلمة «روح» العبرية التي ترجمت إلى /spirit/ الإنكليزية و /esprit/ الفرنسية، و/espiritu/ الإسبانية. إطار المعنى الإنكليزي المتوافق مع مفهوم كلمة / spirit / لا يشترك مع إطار المعنى العبري لكلمة « روح». في اللغة العبرية، «الروح» مؤنثة، بينما / spirit/ الإنكليزية مذكرة. و«الروح» تلمح في دلالتها الضمنية إلى «العاصفة» و«النَفَس» و«الحياة»، ولذلك فهي تشير في مدلولها إلى طاقة الحياة، القوة الكامنة في الأحياء كلها. من ناحية أخرى، تأثر فهمنا لكلمة / spirit/ بالنكهة الثنوية للفظة اليونانية / pneuma/، التي تشير بدلالتها إلى أجسادنا، وأحاسيسنا، وعواطفنا. رتقت في تاريخ المسيحية تشكيلة متنوعة من التقاليد التفسيرية ومذاهبها التأويلية ذات الصلة. وسوف أذكر هنا مذهبين يبدو أنهما الأكثر استعمالا في الكنائس الأمريكية والأوروبية هذه الأيام: الوجودي والسياسي. التأويل الوجودي يصل نصوص

obeikandi.com

الكتاب المقدس غالبا بالمشكلات الوجودية للبشر، مثل الأخلاق والحب ومعنى الحياة واليأس والقلق.. الخ. أما التأويل السياسي (الذي تتنوع تقاليده التراثية) فيصل القصص التوراتية ـ خروج الإسرائيليين من مصر مثلا ـ بقصص الأمة. المثال على ذلك يجسده استخدام موضوع «الميثاق» الذي يهدي قصة الخروج لوصف العلاقة الخاصة بين أمة من الأمم والله. ومثلما شرح ريتشارد هيوز بوضوح في كتابه «أساطير تعيش عليها أمريكا»، عبر مفهوم «الميثاق» لـ«الأمة المختارة» عن فهم لعلاقة الله بإنكلترا خلال عصر الإصلاح[4]. ولذلك، وجد هذا الإطار التأويلي قبل أن يحمله الآباءالحجاج معهم إلى الأرض الجديدة ويعيدوا حيازته هناك في ضوء تجاربهم الجديدة. فقد رأوا أنفسهم ضمن إطار توراتي رمزي جعل القصة القديمة لإسرائيل مشابهة لتجاربهم في فتح واقتحام البرية. فهم «الشعب المختار في الأرض الموعودة»[5].

الافتراض السائد في الأوساط الأصولية لليهودية والإسلام والمسيحية يشير إلى إمكانية مغالبة المشكلات التأويلية الصعبة عبر التوكيد على عصمة النصوص المقدسة. فإذا كانت هذه النصوص منزلة وموحاة من الله، فإن معناها سيكون واضحا لا لبس فيه، ومن ثم فهو خارج إطار نزوات ورغبات التفسير البشري. وبهذه الطريقة، يزعم أولئك الذين يعدون أنفسهم «مؤمنين مخلصين وأتقياء» بالإنجيل أو القرآن أو التوراة، أنهم عثروا على موقع يمكنهم وفقا له رفض وتجاهل الأسئلة التأويلية بوصفها علامات على الردة، والشك غير الضروري، والمراوغة والمواربة.

مثلما أشرت آنفا، يمكن للمشكلات التأويلية أن تؤدي ـ وأدت في الماضي ـ إلى عشوائية متقلبة تعد الإنجيل تشكيلة متنوعة من النصوص القديمة

ذات الصلة إلى حد ما، لكن ليست لها أهمية مباشرة لحياتنا اليوم. من ناحية أخرى، تعد فكرة التفسير الحرفي / النصي القائمة على أساس أن حقيقية الإنجيل واضحة لا لبس فيها ولا تحتاج إلا إلى تطبيقها بصورة مباشرة في الحياة اليومية، مجرد وهم خداع. فمن نافل القول إنه حتى الذين يفسرون الإنجيل «حرفيا» ويؤمنون بعصمته لا يعدون جميع أجزائه على القدر ذاته من الأهمية أو المعيارية. فلو فعلوا لوجب رجم العديد من الناس بالحجارة حتى الموت. فإذا فسروا الآية 20 من سفر اللاويين تفسيرا حرفيا مثلا، وجب عليهم إنزال عقوبة الإعدام بمن يرتكب خطايا وذنوبا مثل شتم أحد الوالدين، أو إقامة علاقة جنسية مع زوجة الجار، أو اللواط. وإن فهموا فقرات العهد القديم بشكل حرفي بوصفها نصوصا معيارية للإيمان والممارسة، وجب عليهم السماح بتعدد الزوجات، إضافة إلى إرسال زوجاتهم إلى خارج المدينة خلال فترة الحيض. ولو قرأنا الآيات 20 ـ 25 من سفر التثنية نجد جملة غريبة، بل شاذة، من الأوامر التوراتية التي يتعذر حتى على أشد المؤمنين الملتزمين حرفية النص اعتناقها أو ممارستها.

بكلمات أخرى، ينتقي أنصار التفسير الحرفي بعض النصوص ويتركون غيرها وفقا لما يفضلونه وما تقتضيه أهدافهم التبشيرية. أحد الأمثلة المثيرة للسخط على هذه الانتقائية أثار انتباهي في الأيام الأولى من عام 2006. فحين أصيب رئيس وزراء إسرائيل اربيل شارون بسلسلة من الجلطات الدماغية، التقط القس بات روبرتسون بضع كلمات من النبي يوئيل (2:4) واستنتج أن غضب الله حل برجل «قسم أرض الله» عبر إزالة المستوطنات اليهودية من قطاع غزة[6]. فرضية العصمة تمكن الأصوليين من أمثال روبرتسون من تجاهل تعقيدات الكتاب المقدس التأويلية بكل فخر واعتزاز، والعاقبة بالطبع ادعاء شيء من العصمة لأنفسهم.

الأصوليون المسيحيون يتجاهلون حقيقة أن الأناجيل الأربعة في العهد الجديد تكشف قدرا كبيرا من الاختلاف فيما يتعلق بالحياة والشهادة وموت المسيح. وهذا مثال ممتاز على الحرية والاستقلالية اللتين قبل بهما زعماء الكنيسة في العصور المبكرة التحديات التأويلية المتضمنة في الدين المسيحي حين قرروا محتوى العهد الجديد. وإزاء الموقف الاختزالي للمهرطق مارشن، الذي أراد الاعتراف بإنجيل واحد فقط، لوقا، واختزال عدد الرسائل البولسية، اختارت الكنيسة مقاربة متنوعة ـ شملت حتى سفر الرؤيا للقديس يوحنا المثير للجدل الخلافي كآخر كتاب مقدس معترف بصحته(7).

ليس ثمة حاجة إلى الغوص في تفاصيل هذه الحجج الجدالية المبكرة حول ما ينتمي إلى الكتاب المقدس. الأهم إظهار أن عملية مشابهة حدثت داخل الإسلام. فالانفتاح النسبي الذي ميز العقود المبكرة بعد جمع القرآن وظهور تفسيرات إضافية، استبدل بالتقييدات النصية الأصولية للمعاني المحتملة لكتاب الإسلام المقدس. وفي حالة الأصوليين في الولايات المتحدة، كان الفشل من النوع الذي يوقف ويجمد العمل المستمر على «التجربة الأمريكية». ما علاقة ذلك كله بـ«كلام الله» في الولايات المتحدة؟ مثلما رأينا آنفا، أدرك الحجاج الأوائل الرب التوراتي باعتباره الإله الذي وضع الميثاق معهم*. وهذا ما رتب عليهم واجبات خاصة ومنحهم حقوقا معينة، فهموها بوصفها تخويلا بحيازة أرض الهنود «الوثنيين» وطردهم منها. في وقت لاحق من التاريخ الأمريكي، صاغ المؤمنون بمذهب التأليه الطبيعي من الآباء المؤسسين، من أمثال واشنطن وجيفرسون، سياسات الولايات

* هذا حسب ادعائهم.

المتحدة الجديدة التي كانت صياغة خلاقة للآراء والأفكار السابقة عن «رسالة أمريكا». فقد استخدموا التصنيفات التنويرية لتفسير الصور التوراتية لله عبر الحديث عن «الكائن الأسمى» و«العناية الإلهية» و«رب التاريخ». أما النموذج (البارادايم) العدواني والتوسعي لـ«القدر المحتوم» الذي ألهم الفتوحات الأمريكية في القرن التاسع عشر فقد أسهم في هيمنة رأي اقترب من ربط الله بقضية أمريكا*.

التفسير الداربي للكتاب المقدس وضع طبقة أخرى عليه. حيث فضل النصوص الرؤيوية وشيد منها سيناريوهات نهاية الزمان التي حولت* «الله» إلى كائن أسمى غاضب، والمسيح إلى بطل خارق ومنتقم جبار، والأمريكيين الشجعان إلى محاربيه الدنيويين. ومثلما رأينا في كتاب جيويت ولورنس، وجدت الشخصية الأسطورية للبطل الخارق طريقها إلى هذه الصورة عن الله. هذا هو الوجه العنيف الذي يعرضه «إله أمريكا» أمام العالم. فهو إله ذكوري يتمتع بسلطة أبوية صارمة، إله منتقم لا يعرف الرحمة يدمر «إمبراطوريات الشر» ويدعو شعبه المختار إلى ممارسة هذا التطهير العالمي بغضب بهيج، إله حرب يطالب بتضحيات دموية.

يمكن اقتفاء جذور هذه الصورة للإله، بكل ما فيها من سلبية وتنفير، في المصادر التوراتية. إذ يشير جيويت ولورنس إلى أنها مرتبطة بـ«الوطنية الشوفينية المتزمتة» التي يمكن العثور عليها في مختلف أجزاء الأناجيل المعترف بها[9]. ووفقا للباحثين، يمكن العثور على الصلة الرؤيوية في

* تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

سفر الأرقام25، الذي يروي قصة شخص اسمه فينيهاس، قتل إسرائيليا وزوجته بالرمح. أما المبرر الذي قدمه النص فهو انتهاك الزوجين نقاء وطهر إسرائيل وهذا ما جلب الطاعون للناس عقابا من الله. النظرية المعممة المستمدة من هذه القصة، كما يحاجج جيويت ولورنس:

> مارست تأثيرا طويلا ومهلكا: فقد افترضت أن البلايا التي تصيب الشعب المختار، كالمرض أو المجاعة أو الهزيمة، ناجمة عن الغضب الإلهي على أعداء الداخل. الخائن داخل المعسكر يصبح مصدرا للشر. لذلك، فإن تخليص الشعب المختار من مصادر الفساد الداخلية يعني إنقاذ الأمة. المتعصب المتزمت هو المنقذ المخلص، الذي يطهر الأمة بالعنف لتستعيد قدرها الانتصاري[10].

يغاير جيويت ولورنس هذه «الوطنية الشوفينية المتزمتة» مع موقف «الواقعية النبوئية» كما مثلها النبي اسحق (من بين آخرين)[11] : «يختبر أصحاب الرؤية النبوئية الواقعية حرية خلاقة وتستحثهم رؤية سامية للعدالة. أما هدفهم فأكثر تواضعا من المتزمتين المتحمسين: الإبقاء على الأزمة مع التقدم عبرها تدريجيا نحو الهدف، مدركين على الدوام إمكانية عدم تحقيقه أبدا»[12].

إله لينكولن وإله بوش

هل تجمع صور الغضب الإلهي والعدل الإلهي علاقة تضاد لا يظهر طرفها الأول إلا بغياب الثاني؟ يشير جيويت ولورنس إلى الرئيس ابراهام لينكولن بوصفه الدليل الدامغ في الحجة التي تؤكد أن مثل هذه المفاهيم

obeikandl.com

المتضاربة يمكن في الحقيقة جمعها معا. ففي خطاب القسم للولاية الثانية، أشار لينكولن إلى حقيقة أن الطرفين المشاركين في الحرب الأهلية المدمرة يقرآن الإنجيل ذاته ويصلون إلى الإله نفسه ـ للحصول على بركات متعارضة وتحقيق نتائج متناقضة، كما يبدو. واستنتج لينكولن أن كلا منهما لا يحتل موقعا يؤهله ادعاء الحماية الإلهية. وفي الواقع، تجسد الحرب، بكل المعاناة التي تجلبها، حكم الله على الطرفين كليهما:

لكن، حتى إذا شاء الله أن تستمر هذه الحرب إلى أن تغرق الثروة التي تراكمت نتيجة كدح العبيد طوال مئتين وخمسين سنة، وينتقم بالسيف لكل قطرة دم سفكها السوط، كما قيل قبل ثلاثة آلاف عام، يجب أن نتشبث بمقولة «إن أحكام الله صائبة وصادقة وفاضلة كلها»[(13)].

وهكذا، لم يكن لينكولن يخشى من الاعتراف بواقع الذنب في حياة أمته، ومن قراءته للعبارات النبوئية في الكتاب المقدس، عرف أن الله لا يميز بين عبد وسيد، وأن كل نقطة دم مهمة بغض النظر عن لون صاحبها، وأن البشر كلهم يتقاسمون الكرامة ذاتها التي وهبها الله لعبادة. فالله هو الكائن الأسمى والمطلق برأيه، الذي يحاسب الرابحين والخاسرين في جميع المعارك الدنيوية. ولهذا السبب أصر على وجوب أن تشارك الأمة برمتها، حالما تنتهي الحرب، في ما يمكن أن يسمى سياسة المصالحة:

حين نتخلى عن الحقد؛ ونتسامح مع الكل؛ ونتشبث بالحق؛ مثلما أراد الله، دعونا نسعى لإنهاء العمل الذي بدأناه؛ ونعالج جراح الأمة؛ ونرعى الأيامى والأيتام ـ ونفعل كل ما من شأنه إقامة سلام عادل ودائم، بيننا، ومع الأمم الأخرى.

obeikandi.com

هنا، نجد سياسيا أمريكيا يسمو فهمه اللافت والخاشع لله على تقسيم الناس إلى رابح وخاسر. لقد عرف لينكولن أن الرد الجوهري الوحيد على فكرة قبول الحرب بوصفها حكم الله على الأمة كلها هو تبني سياسة الرحمة ومداواة الجراح. وتمتع بما يكفي من الواقعية لفهم حقيقة أن السلام العادل والدائم لا يمكن التوصل إليه بواسطة (وهم) تدمير الشر بل برعاية الذين تحملوا وعانوا أكثر من غيرهم.

لكن إله الرئيس بوش لا يظهر مثل هذه الرحمة. إذ لم ينطق بكلمة تشير إلى أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر ربما تشمل أيضا عنصرا من الحكم الإلهي على سياسات الولايات المتحدة. ألم تدعم وكالة المخابرات المركزية أشخاصا مثل بن لادن حين حاربوا الاتحاد السوفييتي؟ لم نسمع كلمة واحدة تعبر عن الخجل أو الإحساس بالمسؤولية في جميع تصريحات الزعماء الأمريكيين والأوروبيين بعد الهجمات على البرجين التوأمين ومبنى البنتاغون. بدلا من ذلك، هيمن على الخطب سخط مرتكز على الإيمان بصوابية الذات وصرخات غاضبة تطالب بالثأر والانتقام.

برأيي كلاهوتي، ثمة بيان للرئيس يكشف الكثير. فبعد سنة من الهجمات، في الحادي عشر من سبتمبر 2002، قال في خطبة ألقاها في جزيرة اليس:

قضيتنا قضية الكرامة الإنسانية، الحرية التي تسترشد بهدي الضمير ويحرسها السلام. مثل أمريكا الأعلى هو أمل البشر جميعا. هذا الأمل ما يزال ينير دربنا. والنور يضيء في الظلمة. والظلمة لن تغلب النور.

obeikandi.com

فليبارك الله أمريكا! [14]

هنا، لا تصدمنا المسيحانية السافرة بل الاقتباس المباشر من إنجيل يوحنا (5 : 1). حيث يقول إنه (يسوع) النور الذي يضيء في الظلمة والظلمة لن تغلبه. فما يقوله الإنجيل عن يسوع بوصفه «نور العالم» ينسبه بوش مباشرة إلى «مثل أمريكا الأعلى». هذا التماهي يكشف الكثير: فقد حول بوش الخلاص بواسطة يسوع المسيح، الذي يعلق المسيحيون عليه أملهم، إلى أمريكا نفسها. «مثل أمريكا الأعلى» هذا هو في تفكير بوش «أمل البشر جميعا». بكلمات أخرى، يعتمد خلاص الجنس البشري كله على أمريكا.

هذا التماهي بين «مثل أمريكا الأعلى» ويسوع المسيح يصل إلى حافة الوثنية. ففي حين كان من الواضح لابراهام لينكولن أن الولايات المتحدة «خاضعة» بشكل صارم لإرادة الله ومشيئته، يرى بوش «أمريكا» على مستوى واحد مع المسيح. فـ«مثل أمريكا الأعلى» يأخذ دور المسيح ويبدو منتصرا مثله حين يبعث حيا[15]. أجد هذه التوليفة التي تجمع الصور اللاهوتية (فيما يتعلق بطبيعة وشخصية وأعمال المسيح) والوطنية مرعبة ومروعة - بوصفي لاهوتيا وألمانيا في آن. ولربما تطري دون شك العديد من المواطنين الأمريكيين، خصوصا الأصوليين منهم، الذين تبدو لهم العواطف الدينية والوطنية شيئا واحدا. لكن العناصر التجديفية موجودة. إذ تصبح «أمريكا» واقعا يشابه الله يتمتع بصفات إنقاذية وقوى خلاصية، وقدرة عنيدة على إنزال العقاب إذا دعت الضرورة*[16].

صراع أمريكا على الله

أدرك أن حجتي هنا سوف يجدها الكثير من الأمريكيين عسيرة الهضم، خصوصا أنها تأتي من أجنبي. لكن ما أقوله يعبر عن وجهة نظر

* تعالى الله عن ذلك الوصف علواً كبيراً.

وصراع بدأ يظهر داخل الولايات المتحدة. في الفصول الأولى من هذا الكتاب أشرت إلى كتاب جيم واليس «سياسة الله»، الذي يجسد مثالا مؤثرا ومعبرا عن هذا الصراع. فقد جادل في صحة الدمج الأصولي بين الدين المسيحي والاهتمامات القومية والرأسمالية والأخلاقية الانتقائية: «كيف أصبح دين المسيح يعرف بمناصرته للأغنياء والحروب وأمريكا»(17). كان صوت واليس الوحيد الذي ميز الوثنية في خطبة الرئيس بوش في جزيرة اليس. ويمكن أن نعد كتابه كله محاولة تستهدف دراسة تأثير الواقعية النبوئية للكتاب المقدس في التوفيقية الأصولية المتحمسة التي استخدمها ممارسو الدين المدني الأمريكي لتحويل أمريكا إلى كيان شبه مقدس. لكن ما أدهشني هو حقيقة أن واليس لا يبدو أنه يواجه مشكلات مع المسيحانية الأمريكية، مع أنها البنية الأسطورية التأسيسية التي تسهل دمج الدين مع الوطنية والرأسمالية والأخلاقية الانتقائية. ولا أجد أيضا في كتاب واليس التحدي المطلوب لـ«مروجي يوم الحساب» حسب معتقد «المتروكون»، لأن حماستهم الرؤيوية هي التي تجعل اندماج الدين والوطنية منذرا بالخطر على نحو خاص.

ثمة مثال آخر على النقد المحدود يمكن العثور عليه في مقالة «أرض الله مقدسة: رسالة مفتوحة إلى المسيحيين في الولايات المتحدة» التي كتبتها في الشهور المبكرة من عام 2005 جماعة من اللاهوتيين الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت خلال اجتماع عقده مجلس الكنائس العالمي في الولايات المتحدة. نشرت رئاسة مؤتمر الأساقفة الأرثوذكس في الأمريكيتين «الرسالة المفتوحة» في الثامن من تموز/ يوليو 2005، وتركزت بؤرة اهتمامها على الضرر البيئي الناجم عن الأساليب الحياتية المسرفة

في الولايات المتحدة (علينا أن نضيف أوروبا أيضا)؛ وتناولت بوضوح «الإنجيل المزور» الذي يبرر إساءة استخدام الأرض وثرواتها:

> لقد أصبحنا مدمرين. الأرض في خطر من صنع أيدينا. وهذا يعني أن أزمتنا لاهوتية أيضا. لقد استمعنا إلى إنجيل مزور يدعونا إلى متابعة عاداتنا الحياتية دون تغيير.. وما يزال هذا الإنجيل المزور يجد مبشرين متباهين ويقتنص أتباعه من بين الزعماء السياسيين وصناع السياسة المتصفين بالجرأة التي تبلغ حد الوقاحة[18].

تعبير «الإنجيل المزور» يكشف الكثير: إذ يدق للاهوتيين جرس الإنذار، لأنه يقول إن الإنجيل الحقيقي قد دحض أو استبدل. وحيثما انتهك الإنجيل الصحيح وحرف، يصبح الدين المسيحي نفسه على المحك ويحتاج إلى من يدافع عنه. وهكذا تواجه «الرسالة المفتوحة» وضعا مهرطقا وتشكل ما يدعوه اللاهوتيون حالة الاعتراف، أي اللحظة التاريخية التي يتطلب فيها الإيمان بالإنجيل الصحيح مقاومة نشيطة (إلى درجة الشهادة) لمبشري الإنجيل المزور والزعماء السياسيين الذين استمدوا «الجرأة الوقحة» منه.

ملاحظة مشابهة ظهرت في بيان اعتراف كتبه فريق ريتشارد هيز (من كلية ديوك اللاهوتية)، وجورج هنسينغر (من كلية برينستون اللاهوتية)، وريتشارد بيرارد (من كلية غوردون)، وغلين ستاسن (من كلية فولر اللاهوتية)، وجيم واليس (من مجلة «سوجورنرز»)[19]. فقد لاحظوا أن «لاهوت الحرب ينبعث من أعلى الدوائر في الحكومة الأمريكية»، وأن «لغة الإمبراطورية الفاضلة تستخدم بوتيرة متزايدة»، وأن «أدوار الله والكنيسة

والأمة تختلط بالحديث عن رسالة أمريكا، والتفويض الإلهي لها للتخلص من عالم الشر»[20]. لذلك، يطالب الكتاب «باعتراف جديد بالمسيح». وفي خمسة توكيدات يعبرون عن الجوانب الجوهرية الأصيلة لتعاليم المسيح. وكل توكيد تتبعه الصيغة التقليدية «نرفض التعاليم المزورة..» التي تفرد بعدئذ التحريفات المهرطقة للدين[21].

هذه هي المعركة الروحية التي تهم عددا متناميا من المسيحيين في الولايات المتحدة[22]. اللاهوتي الألماني هانز ايكهارد باهر، الذي تأثر تفكيره تأثرا عميقا بالاتصالات السابقة مع مارتن لوثر كينغ، يتحدث في معرض الإشارة إلى المعركة عن نوعين من «الدين» في الولايات المتحدة. فهو يميز بين «الدين 1»، دين القوة العالمية الذي تعتنقه إدارة بوش، مدعومة بالكنائس الوطنية الأصولية، و«الدين 2»، «دين حقوق الإنسان» الذي يؤمن به العديد من الكنائس المسيحية[23]. يتسم «الدين 1» بـ«التطرف المتزمت القائم على تقسيم الناس إلى صديق/ عدو» و«نظام عالمي مسيحاني مزور» ومقاربة رؤيوية مرتكزة على «الحل النهائي» لقوى الشر. أما «الدين2»، دين «أمريكا الأخرى»، فهو «ثمرة للخطاب الديمقراطي العام» في حركة الحقوق المدنية، و«طاولة الأخوة»، وصوت «الحلول السلمية البراغماتية» الذي ينتقد القوى المهيمنة ويمثل من لا صوت لهم.

أليست هذه مجرد شجارات نمطية بين اللاهوتيين؟ لا أعتقد ذلك. فهذا الصراع على الله هو صراع في الوقت ذاته على الصور السياسية والاجتماعية والثقافية التي تحكم آمال ومخاوف المواطنين الأمريكيين. وتستهدي بهذه الصور القيم التي يتمسكون بها والقضايا التي يركزون عليها، أو لا يركزون عليها، انتباههم. وطالما يبدو الإله العنيف لقوة أمريكا

العظمى متحكما بكل شيء، فإن أولئك الذين يرفضونه بوصفه وثنا معبودا مزيفا سيواجهون أوقاتا صعبة معه بالتأكيد.

اختيار الحياة، لا الموت: البحث عن الأصوليين العالميين

نظرا لقوة الوثن المعبود، من المهم العمل على البدائل. ف«الاعتراف» الذي أدخله هيز وهسينغر وستاسن وواليس وغيرهم في الجدل يعد خطوة على قدر كبير من الأهمية الدلالية. إذ يؤدي تركيزه على يسوع المسيح ورسالته العالمية إلى خمسة توكيدات مهمة فيما يتعلق بالحياة الوطنية:

1- «ولاؤنا للمسيح يأخذ الأولوية على الهوية الوطنية»*[(24)]. هذا البيان يؤدي إلى رفض أي تسوية بين المسيحية والإمبراطورية.

2- «المسيح يلزم المسيحيين بمعارضة الحرب بقوة». ومن ثم، يحظى «التعاون الدولي» بأهمية أكبر من «السياسات الأحادية الجانب». مع هذا التوكيد يرفض المسيحيون أي «حرب على الإرهاب تحتل الأولوية على حساب المعايير الأخلاقية والقانونية».

3- «المسيح يأمرنا بعدم الاكتفاء برؤية الخطأ في عدونا بل الخطأ الأفدح في أنفسنا». وهذا يفضي إلى توكيد حقيقة أن الخير والشر يكمنان في قلب كل إنسان. ومن الواضح أن هذا التبصر يرفض أي افتراض بأن أمريكا «أمة مسيحية» لا تحتاج إلى توبة بوصفه من «التعاليم المزورة».

4- «يبين لنا المسيح أن حب العدو يكمن في صميم الإنجيل». ومن ثم، يرفض المسيحيون أبلسة الأعداء وأي نوع من أنواع سوء المعاملة لهم.

* الصحيح أن يكون الولاء لله وحده واتباع نبيه.

5ـ «يعلمنا المسيح أن التواضع فضيلة جديرة بالعفو عن الخاطئين والمذنبين». وهذا يؤدي إلى رفض «الهرطقة المانوية» التي «تقسم العالم إلى قوى الخير المطلق وقوى الشر المطلق».

في الختام يوضح هذا الاعتراف حقيقة «عدم وجود أمة/ دولة تستطيع أن تصل إلى القدرة الإلهية».

هذا بيان جريء في الحقيقة. وحين يحدد الملامح والمقومات المركزية لإنجيل المسيح، ينتقد صراحة بعض العوامل المفتاحية لـ«دين إله الحرب» الذي تعتنقه أمريكا. أنا واثق أن العديد من المسيحيين في شتى أرجاء الولايات المتحدة سوف يشعرون بالارتياح والتشجيع نتيجة ما يقدمه هذا الاعتراف من إرشاد روحي. لكن من منظوري كمراقب أجنبي، يبدو مبالغا في المحلية والظرفية، ومغاليا في ضيقه إذا أمكنني القول. فسياقه هو «التعاليم المزورة» للرئيس بوش التي ترى «الحرب على الإرهاب» مهمة أمر بها الله. ومما لا شك فيه أن هذا التزمت الوطني الشوفيني سوف يستفز مقاومة لا تلين من جانب المسيحيين في الولايات المتحدة. لكن هنالك سياقا أعرض وأوسع، يتطلب استجابة أعرض وأوسع. ومثلما حاولت في الفصول السابقة أن أبين، فإن أصولية اليمين المتطرف والمحافظ في الولايات المتحدة (وتأثيرها الجلي في إدارة بوش) ليست سوى تعبير عن واقع المعتقدات الأصولية في العالم. أشرت أيضا إلى أن هذا الانتشار الوبائي الذي يجتاح العالم يكشف عن خطوط تصدع عميقة تهدده بخطر داهم. لذلك، من الضروري اتخاذ موقف شامل في مواجهة هذه النزعات الأصولية المتنوعة من أجل التصدي لأكثر التشويهات والتحريفات إثارة للقلق في حقبتنا الراهنة:

1ـ حقيقة وجدية تهديد نهاية الزمان بالدمار الذاتي الشامل نتيجة توفر الرؤوس النووية لدى عدد من الدول والانتشار العالمي للمنشآت النووية؛

2ـ التغير المناخي الناجم عن الاحتباس الحراري الذي يحدث الآن، وتأثيره الكارثي الذي سيلحق الضرر بأجيال من أولادنا وأحفادنا؛

3ـ تفاقم حالات عدم المساواة في النظام الاقتصادي العالمي، وهذا يقتضي ضمنا تنامي خطر الحرب المستمرة على الوصول إلى / واستخدام الموارد الحيوية مثل النفط الخام، والغاز الطبيعي، والمياه؛

4ـ تنامي المواجهات بين القوة العسكرية للدولة والأنشطة الإرهابية المحدود النطاق «على الطراز المافيوي»، مع ما ينجم عنها من غياب المعايير القانونية وغيرها للحضارة.

يسبب كل من هذه التهديدات العالمية الأربعة قلقا كافيا لقتل أمل البشر بمستقبل يستحق العيش فيه. وحين تجتمع معا تستطيع إضعاف الطاقات الروحية والفكرية المطلوبة لاستمرار العمل من أجل عالم هادف ومستدام وذي مغزى. هذا هو برأيي السياق العريض الذي يجب موضعة البحث عن «الأصولية العالمية» ضمن إطاره. ومن المؤكد أن هذا البحث يتطلب حكمة وشجاعة أتباع جميع الديانات، لا المسيحية فقط. فإذا ما كانت هناك أي حاجة إلى حركة لتوحيد الكنائس حقا لتشهد على القيم الجوهرية التي يضع سكان الأرض ثقتهم فيها ويعلقون آمالهم عليها، فهي ضرورية وملحة الآن. وفي سبيل نقل هذا البحث خطوة إلى الأمام وتدعيمه وتشجيعه أود تقديم الملاحظات التأملية الآتية:

1ـ الوصية الأولى من الوصايا العشر هي البداية المثالية، لأن المسيحيين والمسلمين ورثوها من الديانة اليهودية*. فهي تمنع البشر من صنع أي صورة على هيئة الله. فالله فوق الأسماء والصور والمفاهيم التي يمكن أن نفكر فيها. وحتى حين يعتقد المسلمون والمسيحيون أنه تعالى قد تجلى على النبي محمد أو تجسد في يسوع المسيح**، فإنهم يتشبثون بسموه وعلوه وتنزيهه. من طرق التعبير عن هذا التنزيه فكرة القداسة: فالله الأسمى الظاهر/ الباطن هو الأقدس. ولا يمكن لإنسان أن يكون مقدسا بهذا المعنى، ومن ثم يستحيل أن توجد أشياء مثل «الحروب المقدسة». إن تنزيه الله الذي «ليس كمثله شيء» يؤدي إلى التكتم والحذر عندما يتعلق الأمر بفهمنا لله. ويفضي في الوقت ذاته إلى احترام عميق للمؤمنين بالديانات الأخرى. وحين يتعلق الأمر بمواجهة أسرار وغموض طبيعة الله ـ المصدر «الأصيل» للتواضع والاحترام ـ فإن كلا منا يقف خالي الوفاض.

2ـ يؤمن المسيحيون بأن كل شيء يدين بفضل وجوده إلى الله جل شأنه. لذلك، تدعو عقيدتنا القديمة الله «خالق السماوات والأرض». وهذا يعني أن الخلق واقع لن يفهمه البشر أبدا بصورة كاملة. ومهما كانت المناهج والأساليب والسيناريوهات التي يمكن أن نصممها لتنظيم التعددية الساحقة للظواهر، بدءا بأبعد المجرات وانتهاء

* الدين السماوي من عند الله وهو لا يورث ولكن لما حرفت اليهودية والمسيحية جاء الدين الإسلامي الشامل لكل البشر وهو الدين الذي تكفل الله بحفظه إلى قيام الساعة.

** هذا قول على الإسلام ونبيه غير صحيح كما إنه سبحانه وتعالى لم يتجسد في عيسى عليه السلام ولكن هذا هو الاعتقاد الخاطئ لدى النصارى.

(1) هذا لا يختص فيه المسيحيون فقط بل المسلمون الذين أعانهم وتطبيقهم له يدل دلالة قاطعة لصدق دينهم. وهم أدق الناس لتطبيق الإيمان والعقيدة الصحيحة.

بأدق العناصر داخل الذرة، تظل تقريبية وبحاجة إلى فهمها على هذا النحو. هذا ليس تجهيلا أو ظلامية بغرض تحدي العلم؛ بل على العكس، فكلما تعمق البحث العلمي تعمق الاعتراف بأن الحياة محاطة «بشبكات من العجائب» التي تكتنفها. لذلك، يشعر المسيحيون بالراحة في هذا الكون، المعتمد على الحب الذي يتجاوز كل فهم.

هذا هو السبب الدائم للخشية والرهبة، والإعجاب والتواضع، والشكر والحمد. فالإدراك العميق لشبكات العجائب يوجد ما أدعوه بالوعي الروحي (الزهدي) للاتصال الجوهري بين جميع المخلوقات. حب الحياة هذا يجب أن يقاوم أي نوع من الانسحار والافتتان بالموت. فهو يمقت كل تفجير انتحاري مثلما يشمئز من أوهام الفناء الخيالية في سيناريوهات نهاية الزمان الرؤيوية.

3ـ يؤمن المسيحيون بأن الخليقة ترتع في رحمة الله وبركته ونعمته، ومع ذلك يمزقها الشر إربا إربا. أما السبب فيستحيل فهمه ويصعب تحمله. لكنه يصيب بـ«الصدمة والرعب»[25]، على الأقل لأن الشر والذنب موجودان في كل إنسان. الكتاب المقدس يتصدى لهذه الحقيقة المروعة في الصفحات الأولى حين يروي قصة قابيل وهو يذبح أخاه. هبة الحرية، التي يفخر بها البشر، وهم محقون في ذلك، تحمل في ركابها بذرة الحسد والطمع البغيضة. وإدراك تعدد الخيارات يتضمن تهديد العديد من حالات الاتكال. ولا توجد طريقة واضحة لفصل إرادة فعل الخير عن إرادة فعل الشر العنيدة على ما يبدو.

(1) هذا ليس قول صحيح لأنه ناتج عن عدم التطبيق الصحيح للدين السماوي الصحيح.

obeikandl.com

هذا أيضا أمر جوهري، ويفسر لماذا يعد المسيحيون واقعيين على الصعيد الأخلاقي. فهم لا ينكرون وجود الشر داخل نفوسهم؛ ويحاولون تجنب إسقاطه على الآخرين. وبقدر ما يحاولون الامتناع عن فعل الشر، يجب أن يعترفوا بحاجتهم إلى الخلاص والتوبة. لذلك، يتحول المسيحيون إلى يسوع المسيح(1)، لا لأنهم يجدون فيه المثال المجسد لإخوانهم البشر المتحررين من الطمع والحسد فقط، بل لأنه يحتفظ بحبه غير المشروط حتى في مواجهة الموت. إن القبول بهذا الحب هو مصدر الخلاص. ومن هنا، يسعى المسيحيون إلى الاقتراب من هذا المسيح، ويتذكرونه في صلواتهم وشعائرهم (خصوصا في القربان المقدس). في المسيح ثمة حقيقة جوهرية تتجلى: التحرر من عبء الذنب وضغوط الإذلال والمهانة خيار مدمج في الخلق، ومن ثم فهو فرصة متاحة لجميع البشر، بغض النظر عن مدى تعقيد صراعاتهم.

4- هذا يفسر السبب الذي جعل المسيحيين يضعون التاريخ في فئة التغير والتحول (/metanoia/ اليونانية تعني حرفيا تحولا في الرأي، وتغيرا وتبدلا). لكل أسر منتهى ولكل منفى نهاية؛ لا يوجد طريق ضيق إلى حد يجعل الالتفاف الكامل مستحيلا. ولا يوجد ذنب لا يغتفر. ولا صراع عنيد لا حل له. هذه الطاقات الإبداعية للخالق والقوى التصالحية ليسوع المسيح(1)، تتكشف في حضور ما يدعوه المسيحيون بالروح القدس، وما يدعوه الإنجيل بـ«الروح»، «القوة الكامنة في الأشياء» التي تهب الحياة وتديمها.

طاقات الروح مسيحانية لأنها تظهر طاقة المسيح المصلوب(1).

* هذا اعتقاد خاطئ حيث جعلوا عيسى عليه السلام ملجأ لهم ولم يجعلوا ذلك الاعتقاد لله. وكذلك الصلب التي اعتقدوها وصدقوها.

لذلك، لا تناسب طاقات الروح مزاعم القدرة الكلية المطلقة المميزة للأبطال الخارقين في الماضي والحاضر؛ بل توائم تجارب الضعف الإنساني المميزة للأغلبية الساحقة من شعوب العالم. إن قوة الروح تعزز وتديم تذكر الألم والمعاناة، وهو تعبير مركزي في عمل اللاهوتي الألماني يوهان بابتيست ميتز[26]. حيث يضع الألم والمعاناة في المركز لا لأنه يريد تمجيدهما بل لأنهما يمثلان تجربة جوهرية وأساسية للوجود الإنساني برمته. أتفق معه في هذه النقطة: فتعبيره «الألم والمعاناة» قريب إلى «مواطن الضعف» التي وصفتها آنفا، وهي حقيقة واقعية جوهرية في حياة الناس والشعوب كلها (ومفهوم أسعى إلى تحريره من مدلولاته السلبية). من المؤكد أن مفهوم مواطن الضعف كثيرا ما استغله الأقوياء وأساؤوا استخدامه؛ لكنه يمثل نقطة الانطلاق لجميع البدايات الإبداعية والخلاقة.

مواطن الضعف حقيقة شمولية تنطبق على جميع البشر. وحينما تلقى القبول والاحترام، توحد البشر وتمكنهم من العمل على منظومات الدعم والمساندة، ومنها الشعور بالأمان والأمن على الصعيدين القانوني والاجتماعي. عندما يدرك الناس أن التواصل بينهم مؤسس على مواطن الضعف المشتركة بينهم، يمكنهم مغالبة الانقسامات التي تفرقهم إلى أجناس، وثقافات، وأعراق. وهذا يتصل اتصالا وثيقا بمفهومي عن التذكر العميق: القدرة على تذكر لحظات الفرح والترح في حياتنا. قدرة تزيد وعينا بجذور صراعاتنا وتفتح عقولنا على فرص التغير والهداية.

5ـ أخيرا، من التجارب الجوهرية المهمة للمسيحيين أنهم يشكلون أمة منتشرة على امتداد العالم*، والطاقة التوحيدية للمسيح هي التي تجمعهم معا عبر جميع الانقسامات التي تضع الناس لولاها في معسكرات منفصلة. والحقيقة المحزنة أن المسيحية شهدت حقبا من الجفاء المرير والحروب الدينية الدموية؛ لكن من العدل القول أيضا إن القرن العشرين اتسم بمحاولات جديدة لاكتشاف الصلات الجامعة بين مختلف الكنائس والعثور على التعبيرات المناسبة لهذه الوحدة المتنامية. يبقى ذلك إنجازا عظيما حققته حركة توحيد الكنائس الحديثة.

مهما عانت هذه المحاولات من نقص وقصور، إلا أنها أظهرت الرؤية الجوهرية التي تؤكد عدم وجود مسيحي يمتلك حقيقة الإنجيل، التي لا تتمظهر إلا في العشرة والعلاقة الودية مع الآخرين. فحقيقة الإنجيل هي الحب. وكل من عشق يعلم أن الحب ليس تملكا بل مشاركة. ولذلك يتحدث العهد الجديد عن المسيحيين بوصفهم ينتمون إلى عائلة الرب**: الأبرشيات المسيحية تعد عائلات يساعد أفرادها بعضهم بعضا. فمنذ بدايات الكنيسة الرسولية كان من المفهوم أن الطوائف المسيحية تشكل شبكات من العون المتبادل. لذلك، يستحيل على الأفراد، أكانوا من المبشرين أو الدعاة على شاشات التلفزيون، أو الرؤساء، زعم معرفة إرادة الله دون استشارة واستنصاح الأعضاء الآخرين في الطوائف المسيحية.

---

* هذه ليست خاصية للمسيحين وحدهم. بل للإسلام كذلك.

** تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً من هذا الاعتقاد الخاطئ ينسبون لله الصفات البشرية ويرفعون أنفسهم إلى الإلوهية. تناقض عجيب.

من نافل القول إن هذه «الأصول» الخمسة تمثل اقتراحاتي للبحث الذي يجب أن يجري داخل المنظمات والمؤسسات العديدة التي تمتلك طاقة تمثيلية لفئات عريضة من آمال وحاجات البشر. من المهم أيضا لأصحاب الديانات الأخرى المشاركة في هذا البحث، حتى وإن بدت مقارباتهم متناقضة ومتنافرة أول وهلة. في جميع الحالات، ليس المهم فعلا كيف يصوغ البشر الأصول الجوهرية بل مدى التزامهم بها في حياتهم. فهذه «الأصول الجوهرية» لا قيمة لها إلا إذا طبقت عمليا في مجتمعات تعيش حياة مريحة وتتلقى العناية والرعاية[27]. ومهمة هذه المجتمعات هي تكثيف شبكات المعنى التي تمكن الأجيال القادمة من العثور على مكان لها في المجتمع دون الضياع بين عشوائية التقلب واستبدادية السلطة الحصرية. على الصعيد العملي، فإن ما يحتاجه المواطنون، رجالا ونساء، من أجل تنمية قدراتهم على تربية ورعاية الأبناء، هو أحياء سكنية آمنة ومؤسسات تعليمية وتدريبية كفؤة؛ وشروط عمل عادلة وأجور كافية؛ وأنظمة قانونية مستقرة وخدمات عامة يعول عليها؛ ومياه نظيفة، وطعام صحي، وبيئة مستدامة. في الحقيقة، فصّل ما أدرجته هنا بعناية أكبر عدد من الإعلانات والمواثيق حول الحقوق الإنسانية الفردية والاجتماعية، مثل الإعلان العالمي «لحقوق الإنسان» عام 1948.

اهتمامي بلائحة الأصول الجوهرية التي يمكن أن تتصدى للظروف اليائسة لوضعنا المعولم، يتصل من جوانب عديدة بعمل المنظمات والمؤسسات الدينية الدولية مثل «برلمان أديان العالم». وللإشارة إلى أهم مثال معبر عن التحدي الذي يواجهه، صاغ البرلمان في شيكاغو عام 1993 أربعة «توجيهات غير قابلة للنقد» والتزامات أساسية:

1ـ ثقافة لاعنفية واحترام الحياة؛

2ـ ثقافة تضامن ونظام اقتصادي عادل؛

3ـ ثقافة تسامح وحياة قائمة على الصدق والأمانة؛

4ـ ثقافة حقوق متساوية وشراكة بين الرجل والمرأة[28].

كتب المسودة التمهيدية الرئيسة اللاهوتي هانز كونغ[29]، الذي لخص برنامجه في ثلاث جمل صريحة ومباشرة: «لا بقاء دون أخلاقيات يلتزم بها العالم. لا سلام في العالم دون سلام بين الديانات. لا سلام بين الديانات دون حوار بين الأديان»[30]. يبدو ذلك برنامجا بسيطا، لكنه في الواقع مشروع جريء كرس له كونغ طاقاته المشهودة طوال أكثر من عشرين سنة.

يسهل رفض عمل كونغ وعمل برلمان أديان العالم بوصفهما تحويلا للانتباه وجهة الرومانسية السياسية. وفي الحقيقة، فإن ما حدث قبل أكثر من عقد من السنين في شيكاغو يبدو مستحيلا اليوم. فالتغيرات في المناخ السياسي والاقتصادي العالمي أدت إلى استقطاب عميق. والطبيعة التصادمية التي تلوث العديد من المشكلات الدولية تفاقمت بصورة حادة منذ هجمات سبتمبر الإرهابية عام 2001 على نيويورك وواشنطن. وهذا ينطبق خصوصا على العلاقات داخل/ وبين المجتمعات المسيحية والمسلمة. فهل يمكن وقف هذه النزعة وعكسها؟ قصة القس اليسوعي باولو دالوغليو تشير إلى هذا الاتجاه، ولذلك تشكل مصدرا للأمل.

obeikandi.com

في عام 1977، أرسل باولو إلى لبنان من قبل رئيسه المشهور بيدرو اوربي، لدراسة الثقافة العربية والإسلامية. واستطاع باولو، مع مجموعة دولية من الرهبان والراهبات، إحياء دير مار موسى في سورية، الذي أسس في القرن السادس، وزخرف بلوحات جصية بديعة في القرن الحادي عشر، ثم أهمل منذ القرن التاسع عشر. لم يكتف رهبان وراهبات الدير بالتعهد الرهباني التقليدي بالزهد والعفة والطاعة فقط؛ بل التزموا العمل والتأمل وحسن الضيافة وحب الإسلام. وهذا ما مكنهم من مغالبة حواجز الشك والعداء التي تعود إلى زمن الحملات الصليبية. واستطاعوا بوعي منهم وصل عناصر من دينهم المسيحي بعناصر من الإسلام. صحيح أن في ذلك مسحة توفيقية بالطبع؛ وهم يقبلون هذا الانتقاد عن طيب خاطر. لكن باولو وجماعته على قناعة بوجود مبادئ إيمانية جوهرية تجمع المؤمنين من الديانتين كلتيهما معا. عرف باولو من تجربته أن الناس الذين تربوا على تقاليد تراثية دينية متخمة بالمجابهات التاريخية بحاجة إلى التنقيب بعمق أكبر للعثور على جذور مناسبة لإقامة علاقة عادلة وسليمة. ومن الواضح أن بالخروج على الطرائق المعتادة لمصادقة الجيران المسلمين، يأمل باولو وجماعته في دير موسى في المساعدة على مغالبة الحلقة الجهنمية من الخوف والعنف التي تجتاح الشرق الأوسط. يقول باولو: «الذين لا يعودون إلى جذورهم ويكتفون باتباع حرفية [أي نص مقدس] هم الذين يثيرون المشكلات في هذا العالم. فإذا اتبعناهم هلكنا»(31).

هذا مجرد مثال على الطبيعة الراديكالية للدين (/راديكالية/ تعني في المدلول اللاتيني الأصلي /radix/ أي /جذر/ مفرد جذور). يستتبع ذلك

أن أولئك الذين يزعمون امتلاك معنى دينهم الحقيقي، يهودا أم نصارى أو مسلمين أم سواهم، ليسوا راديكاليين بما يكفي. فقد أخذوا على عاتقهم أمر تطبيق دينهم بأيديهم ـ وخيانته أيضا. السيناريوهات الرؤيوية التي تجتذب الكثيرين من المسيحيين والمسلمين ليست استثناء: فهي تخون الجذر (radix) الذي نبتت منه الديانتان: اللّه الذي جوهره الحب.

Obeikandl.com

هوامش

1- انظر:

Walter Wink, Engaging the Powers: Discernment and Resistance in a World of Domination (Minneapolis: Fortress Press, 1992).

انظر حجته على أن مردوخ هو الإله الذي تسيطر روحه على أمريكا في كتاب:

The Powers That Be: Theology for a New Millennium (New York: Galilee/Doubleday, 1998), esp. pp. 42ff.

2- «Methodist group calls Iraq war «unjust, immoral,»CNN Online, Jan. 26, 2006: http://edition.cnn.com/2006/US/0125//churches.iraq.reut.

3- «Methodist group calls Iraq war 'unjust, immoral.'»

4- انظر:

Hughes, Myths America Lives By (Urbana/Chicago: University of Illinois Press, 2003), pp. 20 - 28.

5- Hughes, Myths, pp. 28 - 33 .

6- Alan Cooperman, «Iranian Leader, evangelist call prime minister's illness deserved,» Washington Post, Jan. 6, 2006, p. A12.

7- كان مارشن شخصية نافذة في القرن الثاني، واختزاليته الحادة فيما يتعلق بمضمون ومدى العهد الجديد مرتبطة بثنويته الغنوصية، التي قادته إلى فصل الإله العبري عن المسيح بوصفه إله الرحمة الجديد. انظر:

H. Kraft,«Marcion,» Religion in Geschichte und Gegnwart,

obeikandi.com

3rd ed., vol. IV (Tubingen: Mohr, 19571965-), pp. 74042-; see also L. Vischer, «Kanon, Kirchengeschichtlich,» RGG, 3rd ed., vol. III, pp. 1119 - 23.

للاطلاع على أحد المصادر الأمريكية، انظر:

Bart D. Ehrman, The New Testament: A Historical Introduction to Early Christian Writings (New York: Oxford University Press, 1997), pp. 7 - 11.

8- ثمة مثال معبر يجسده «حكم الإعدام» الذي أصدره آية الله الخميني على الكاتب المسلم الهندي الأصل سلمان رشدي بعد نشر كتابه «آيات شيطانية». من اللافت أن أئمة المدينة البريطانية برادفورد هم أول من دق جرس الإنذار، على الأقل لأنهم خشوا من تعرض الجالية الإسلامية إلى خطر امتصاص المجتمع البريطاني العلماني «المتقلب». لمزيد من التفاصيل، انظر:

Klaus Kienzler, Der Religiose Fundamentalismus: Christentum, Judentum, Islam (Munchen: Beck, 2001), pp. 80ff; see also Jewett and Lawrence, Captain America and the Crusade Against Evil, pp. 30ff.

9- Jewett and Lawrence, Captain America, esp. pp. 45ff., 61ff., 168ff.

10- Jewett and Lawrence, Captain America, p. 169.

11- Jewett and Lawrence, Captain America, pp. 313ff.

12- Jewett and Lawrence, Captain America, p. 314.

13- «The Second Inaugural Address of Abraham Lincoln, 4 March 1865,» The Avalon Project of Yale University Law School: http://www.yale.edu/lawweb/avalon/president/inaug/lincoln2.htm.

obeikandi.com

14- George W. Bush, «President's Remarks to the Nation, Ellis Island, NY, September 11, 2002» (White House release: http://www.whitehouse.gov/news/releases/2002-20020911/09/3.html [accessed Jan. 22, 2006].

15- يقول صمويل هنتنغتون: «أصبح العلم، مثلما أشار الكثير من الباحثين، رمزا دينيا في الجوهر، المعادل للصليب في المسيحية». انظر:

Who Are We? America's Great Debate (London: Simon & Schuster, 2004), p. 129.

ويضيف: «كلمتان.. لا تظهران في بيانات وعبارات وشعائر الدين المدني: عيسى المسيح. وفي حين تعتنق أمريكا المذهب البروتستانتي دون الله، فإن الدين الأمريكي المدني هو المسيحية دون المسيح» (ص107). في ضوء هذه الملاحظة، يبدو من الغريب برأيي أن يقول هنتنغتون: «وبذلك، تكون أمريكا أكثر البلاد البروتستانتية تدينا، وهي تتفوق بهامش كبير في هذا السياق» (ص92). فإذا كان الإصلاح الديني يعني شيئا فهو إعادة اكتشاف مركزية المسيح؛ ومن هنا، يبدو لي أن«الدين المدني الأمريكي» الذي تحدث عنه هنتنغتون إنما هو خيانة لعصر الإصلاح.

16- أشرت في الفصل الأول إلى أهمية العلم الأمريكي. والجهود السياسية لإدخال تعديل دستوري يحظر «تدنيس العلم» مجرد مثال على محاولات تحويل العلم إلى رمز مقدس. ونظرا لأنه أهم رمز للولايات المتحدة، فهو يربط قدسية الرب بقداسة الأمة. لمزيد من التفاصيل، انظر:

Jewett and Lawrence, Captain America, pp. 297ff.

17- انظر:

Wallis, God's Politics, p. 3.

18- «SCOBA Hierarchs Endorse Statement on Environment, God's

Earth is Sacred: An Open Letter to Christians in the United States,» SCOBA News (online):

http://www.scoba.us/news/newsdetail.asp?id=137 (accessed July 28, 2005).

19- «Confessing Christ in a World of Violence,« Hospitality 24, no. 1 (Jan. 200): 3, 10.

النص وقائمة الموقعين منشوران على موقع «سوجورنرز» على الويب:

www.sojo.net/index.cfm?action=action.election&item=confession _ signers.

20- «Confessing,» p. 3.

21- بمحض الصدفة، تتبع بنية هذا «الاعتراف» صيغة «إعلان بارمن» الشهير حول اعتراف الكنيسة عام 1943، الذي أصبح وثيقة أساسية للمسيحيين البروتستانت والأبرشيات البروتستانتية في مقاومة نظام هتلر.

21- المثال المشهود على هذا الاهتمام يجسده البيان الذي خاطب به ممثلو الكنائس الأمريكية إخوانهم المسيحيين من مختلف أرجاء العالم الذين اجتمعوا في الملتقى التاسع لمجلس الكنائس العالمي المنعقد في بورتو اليجري (شباط/فبراير 2006). تضمن البيان عناصر من إعلان الاعتراف بالذنب والاعتذار. انظر:

A Letter from the US Conference for the World Council of Churches to the 9th Assembly of the World Council of Churches, Porto Alegre, February 18, 2006:

www.wcc-usa.org/newscontaier/article/1099/a-letter-from-the-US-conf. (accessed March 8, 2006).

obeikandi.com

23- انظر:

Hans Eckehard Bahr, Erbarmen mit Amerika. Deutsche Alternativen (Berlin: Aufbau-Verlag, 2003).

24- هذا الشاهد والذي يليه مقتبسان من نص:

«Confessing Christ in a World of Violence.»

25- باقتباس الشعار المشؤوم الذي ظهر على السطح حين عبرت المؤسسة العسكرية الأمريكية عن آمالها في مهمتها في العراق عام 2003 ـ خنق وكبت جميع أشكال المقاومة بالتقانة الساحقة والمتفجرات والقنابل الذكية البالغة الدقة في إصابة الهدف.

26- John Baptist Mrtz, Zum Begriff der Politischen Theologie, 1967-1997 (Mainz: Grunewald, 1997).

27- للاطلاع على مزيد من التفاصيل، انظر:

Geiko Muller-Fahrenholz, God's Spirit Transforming a World in Crisis (New York: Continuum, 1995), esp. Part III, pp. 108- 70.

28- Declaration Toward a Global Ethic, Parliament of the World's Religions, Chicago, Sept. 4, 1993 (posted by the Council for the Parliament of the World's Religions: http://www.cpwr.org/resource/ethic.pd [accessed Jan. 22, 2006]).

29- انظر على وجه الخصوص:

Kung, Global Responsibility: In Search of a New World Ethic (New York: Crossroad, 1991).

30- Kung, Global Responsibility, p. XV.

obeikandi.com

31- Robert B. Kaiser, «A Voice in Wilderness» Company (online magazine of Jesuits), April 27, 2004:
www.companymagazine.org/v213/wildreness.htm.
www.deirmarmusa.org (accessed Jan. 21, 2006).

obeikandl.com